ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٦٠) - اعرف امامك (ج٥٩)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(52)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٢٩)
الشأن (٤) - التعمق في عقيدة التوحيد (ج٣)
مثال للتعمق في تفسير سورة التوحيد
الجمعة : ٢٩/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ١١/٦/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

مثالٌ يُقرّب لنا الفكرة عن التعمّقِ في شؤونِ عقيدة التوحيد.

سأقفُ عند سورة الإخلاص:

السورةُ تبدأ: "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ**"؛ البسملةُ في كُلِّ سورة، لكنّني أتحدَّثُ عن بسملة سُورة الإخلاص هنا، هذه البسملةُ مضمونها هو إجمالُ تفاصيلِ ما في ا لسورة، مثلما البسملةُ في سُورة الحمد، في سورة الفاتحة تُمثِّلُ إجمالاً للتفاصيلِ الموجودة في مضمونِ سورة الفاتحة، كذاكَ هي بسملةُ سورة الإخلاص إذا أردتُ أن أدخلَ في تفاصيلها فإنَّها تُمثِّلُ لنا إجمالَ كُلِّ تفاصيلِ سورة الإخلاص، وهذا الحالُ معَ كُلِّ بسملةٍ في كُلِّ سوَرِ القُرآن، إذاً البسملةُ في سورة الإخلاص هي إجمالٌ لكل التفاصيلِ الموجودة في مضمونِ وفحوى هذه السورة.

أنا لستُ بصدد الحديث عن تفاصيلِ تفسيرها وتأويلها، إنَّما أضربُ لكم مثالاً تقريبياً يُقرّب الفكرة عندكم عن معنى التعمّقِ في شؤونِ عقيدة التوحيد، وأخذتُ سورة الإخلاص مثالاً لأجلِ تقريبِ الفكرة عن هذا التعمّق.

بعد البسملة: "**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد**"؛ هذه (قُلْ) ليست أمراً بالقول اللفظي، هذا الأمرَ موجّهٌ إلى أعظمِ مخلوقٍ خلقهُ الله؛ (إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمّديّة)، هذا الأمرُ موجّهٌ إلى الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، فإنَّ أولى المخلوقات الَّتي خلقها اللهُ سُبحانهُ وتعالى أن تكونَ ناطقةً بأعمق معاني التوحيد، لابُدَّ أن يصدقَ هذا المعنى بالدرجة الأولى على المخلوق الأوَّل على الحقيقة الـمُحَمّديّة. و (قُلْ) ما هي بأمرٍ للقول اللفظي.

قُلْ؛ بمعنى (**كُنْ**)، بمعنى أنَّ أمراً صَدَرَ للحقيقة الـمُحَمَّديَّة تكويناً تجلياً.

أُقرِّب لكم الفكرة:

حين يقولُ إمامنا الصّادقُ لنا: (**كُوْنُوْا لَنَا دُعَاةً صَامِتِيْن**)، هناكَ دعوةٌ بالكلامِ بالألفاظِ بالأقوال، الإمامُ حين يأمرنا: (**كُوْنُوْا لَنَا دُعَاةً صَامِتِيْن**)، ما المراد من ذلك؟ أنَّنا نقومُ بدعوةِ النَّاس إليهم، ولكن عبرَ ترجمةِ تلكَ الدعوةِ بأفعالنا، بمضمونِ شخصيّاتنا، بسلوكنا المميّز، فنحنُ هنا دُعاةٌ ودُعَاةٌ حقيقيونَ، لكن ليسَ بكلامٍ بأقوال.

(قُلْ)؛ يا أيّتُها الحقيقةُ الـمُحَمَّدية كوني كما أريد، إنَّني أريدك أن تتجلّي بمعنى جمالي وجلالي، وهكذا كانت الحقيقةُ الـمُحَمَّديةُ مجلىً لجماله وجلاله.

"**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد**"؛ الَّذي تجلّى في الحقيقة الـمُحَمّديّة هو هَذا؛ "**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد**"؛ (هُوَ) عنوانٌ للغيب، بالنسبةِ لنا (للإدراك)، حتّى في العربيّة، في قواعد العربيّة فإنَّ هذا الضمير، هذه اللفظة هي ضميرُ شأنٍ لمن؟ للغائب.

الغيبُ؛ ما غابَ عن إدراكنا، هذا هوَ الغيب.

مراتبهُ؛ لا تُعدُّ ولا تُحصى.

الضمير هنا (هُوَ)؛ يتحدَّثُ عن غيبِ الغيوبِ، عن الغيبِ في أقصى درجاته، فـ(هُوَ) إشارةٌ إلى الغيبِ المطلق حيثُ اللإدراك بالنسبة لنا.

فهذا الغيب المطلقُ الَّذي هو اللإدراك بالنسبة لنا يُشار إليه بهذا العنوان: (**هُوَ اللهُ**).

(**اللهُ**) ؛ إشارةٌ إلى الذَّات الأولى إلى الغيبِ الأعلى إلى الهُويَّة الغائبة، إنَّها غائبةٌ عن عقولنا، غائبةٌ عن إدراكنا، (**اللهُ**) إشارةٌ إلى تلك الذَّات، بحسبنا.

"**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد**"؛ (أَحَدٌ) هو المتفردُ، ولا أجدُ ألفاظاً مُناسبةً كي أشرح هذه المفردة (المتفردُ)، يمكنني أن أقول الَّذي لا شبيه لهُ، لا نَظيرَ لهُ، لا كُفو لهُ، لا ندَّ لَهُ، والعبائرُ محدودةٌ قاصرةٌ أيضاً، هوَ أجلُّ، وأعظمُ وأنزهُ وأقدسُ من كُلِّ ذلك، الأحدُ المتفرّدُ.

"قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد"؛ هذه المضامينُ أشرقت وتجلّت في الحقيقة الـمُحَمّديّة.

تستمرُ السورةُ الكريمةُ:

"**اللهُ الصَّمَد**"؛ (الصَّمَدُ) المقصودُ، فكُلُّ الأشياء صامدةٌ باتجاهه، وُجودها من فيضه، بقاؤها من فيضه، نماؤها من فيضه، رُقيُّها من فيضه، اندثارها - والمرادُ من الاندثارِ هو انقطاعُ فاعليتها في الوجود - اندثارها منهُ من فيضه أيضاً.

"**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**"؛ هذه أوصافُ الخلقيّات الَّتي تجلّت من المخلوقِ الأوَّل من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.

"**لَمْ يَلِدْ**"؛ الَّذي يَلِدُ هوَ فاعلٌ ومُنفعلٌ في الوقت نفسه، فحينما يَلِدُ هوَ فاعلٌ يفعلُ ولكنَّ هذا الَّذي فعلهُ هو نتاجٌ من انفعال سبقَ هذا الفعل، فهناكَ من أثَّر فيه من سَبَب لهُ ذلك، ولا أتحدَّثُ عن الذكورِ والإناث، إنَّما أتحدَّثُ عن مُطلقِ معاني الولادة في كُوننا وفي وُجودنا المادي هذا، التوالُدُ ليسَ فقط بين الأزواج من الذكورِ والإناث التوالد حتّى في الجمادا ت، ما بين المركبات والعناصرِ والمعادن، التوالدُ في كُلِّ جُزء من أجزاء كوننا هذا.

فالَّذي يَلِدُ؛ هو الفاعلُ المنفعلُ، هو أيضاً مُنفعلٌ، مُنفعَلٌ بما هو أقوى تأثيراً وأقوى فَعلاً، من مراتبِ الموجوداتِ الأخرى.

"**وَلَمْ يُولَدْ**"؛ المولودُ منفعلٌ وليسَ فاعلاً في لحظةِ الولادة، إنَّهُ مُنزَّهٌ عن صفاتِ كُلِّ الخَلقيّات.

الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ؛ خلقها بنفسها.

أمّا الخلقياتُ الأخرى؛ فقد خلقها بالحقيقة الـمُحَمّدية،

فهذه الأوصافُ أوصافُ الخلقيّات.

الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ هي الأخرى تنطبقُ عليها هذه المعاني، أيَّةُ معانٍ؟ لم تَلد ولم تُولَد، لماذا؟ لأنَّها خُلقت بنفسها، ولذا فإنَّ وجهها الباطني أين استقر؟ استقرّ في ظِلِّه فلا يخرج منهُ إلى غيره، السرّ في استقرارِ الوجه الباطني للحقيقةِ الـمُحَمَّديّةِ في ظِلِّه سبحانهُ وتعالى لأنَّها خُلقت بنفسها.

"**وَلَمْ يَكُن لَّهُ** - الحديثُ عن الذَّات الأولى - **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد**"؛ إذا أردنا أن نقوم بمكافئة بينهُ، بين الذَّات الأولى وبين غيره، فإنَّنا سنقوم بمكافئة فيما بينهُ وبينَ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، ليس اقتراحاً منَّا فقد مرت علينا الآياتُ في الكتاب الكريم من أنَّ الله يُقارن نفسهُ بخالقين عظام ورازقين عظام، وتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين، أنا لا أنقل نصّ الآية هنا وتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين، لأنَّ الآية لم تستعمل حرف الواو في نصّها الأصليّ، إنَّما أتحدَّثُ ضمن سياق حديثي، تبارك اللهُ أحسنُ الخالقين.

"**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَد**"؛ الحقيقة الـمُحَمَّديّةُ لها مقامُ الأحديّة بحسبها، فهذا معنى أنَّ الله خلقها بنفسها، خلقها بنفسها لها أحديّةٌ بحسبها، لكنَّها لن تكونَ كُفواً لهُ بأيِّ وجه من الوُجوه، من هُنا هناك فيما بيننا وبينهُ هناك قطيعةٌ، لذا مداركنا منقطعةٌ، مداركنا مرتبطةٌ بفيضِ الحقيقة الـمُحَمَّديّة، والحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ ما هي في مقامِ المكافئة لهُ سُبحانهُ وتعالى.

الحقيقةُ الـمُحَمّديةُ أعلى عناوينها: **الـمَثَلُ الأعلى**، الـمَثَلُ الأعلى، الـمُثَلُ الأعلى هو الَّذي تجلَّى فيه هذا المعنى.

- فالحقيقةُ الـمُحَمّديةُ حقيقةُ غيبٍ تجلَّى هذا العنوانُ فيها: (**هُوْ**).
- وحقيقةٌ جامعةٌ لكُلِّ جمالٍ وجلالٍ فتجلَّى فيها هذا العنوان: (**الله**).
- وهي **أحديّةٌ** لا شرقيّةٌ ولا غربيّة تتفرّدُ لأنَّها مَجلىً للمُتفرِد القديم سُبحانهُ وتعالى، هي أحديّةٌ بحسبها.
- وهي الجهةُ الَّتي صدرَ منها كُلُّ فيضه، هي بوّابةُ الفيض، فكُلُّ الخلقيّات صامدةٌ باتجاهها..

الحقيقةُ الـمُحَمّديّةُ هذا المعنى تجلَّى فيها فإنَّها لم تلد ولم تُولَد، لأنَّهُ سُبحانه وتعالى خلقها بنفسها، بينما سائرَ الخلقيّات فهي إمَّا فَاعِلةٌ مُنفعِلة، وإمَّا مُنفعلةٌ ليست بفاعلة، وهذه هي أصنافُ الخلقيّات الَّتي صدرت من الحقيقة الـمُحَمَّديّة.

الحقيقةُ الـمُحَمَّديّةُ ليسَ لها من كُفو بالقياس إلى الخلقيّات بكُلِّ مراتبها، فكُلُّ الخلقيّات هي من فيضها، فكما أنَّ الحقيقة الـمُحَمّديّة ما هي بكفوٍ للذَّات الأولى، فإنَّ الخلقيّات بكُلِّ مراتبها ما هي بكفوٍ للحقيقة الـمُحَمَّديّة.

قولي يا أيُّتها الحقيقةُ الـمُحَمّديةُ قولاً وُجودياً، تحقُّقياً، تكوينياً، تجلياً، هذا هوَ المرادُ من فعل الأمر؛ ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد**﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة النحل:

وإلى الآية الستين بعد البسملة من سورة النحل: ﴿**لِلَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيم**﴾.

"**لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْء**"؛ لا شأنَ لنا بالحديث عنهم.

"**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى**"؛ الـمَثَلُ الأعلى الحقيقةُ الـمُحَمَّديّةُ الَّتي تجلَّى معنى الله فيها، بجماله وجلاله وحتَّى هذه العبائر قاصرة، لكنَّنا ماذا نصنعُ؟! هذه الحَقائقُ العظيمةُ، وهذه الألسنةُ القاصرةُ، وهذه العقولُ المحدودةُ، وهذه اللغةُ الضيقةُ، فهذا الَّذي نُنتجهُ، هذه بضاعتُنا، بضاعتُنا بقدرِ حالنا.

وفي سورة الروم أيضاً:

في الآية السابعة والعشرين بعد البسملة من سورة الروم: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم**﴾ ، ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾.

في دعاء الجوشن:

في دعاء الجوشن الكبير في المقطع السادس والخمسين: (**يَا مَنْ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى** - هكذا يبدأ المقطع السادس والخمسون - **يَا مَنْ لَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى، يَا مَنْ لَهُ الصِّفَاتُ العُلْيَا، يَا مَنْ لَهُ الآخِرَةُ وَالأُولَى، يَا مَنْ لَهُ الجَنَّةُ الْمَأوَى، يَا مَنْ لَهُ الآيَاتُ الكُبْرَى، يَا مَنْ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**)، هذا هو الـمَثَلُ الأعلى..

وإذا ما ذهبنا إلى الزيارة الجامعة الكبيرة:

فإنَّنا نُسلِّمُ عليهم في مُقدِّمة الزيارة الجامعة الكبيرة: (**السَّلَامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى وَأَعْلَامِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى** - إلى أن تقول الزيارةُ الشريفة - **وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنَى وَحُجَجِ الله عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأُولَى وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُه**) ، فهم الـمَثَلُ الأعلى هكذا نُسلِّمُ عليهم؛ (وَالْمَثَلِ الأَعْلَى وَالدَّعْوَة الحُسْنى) ، لأنَّهُم هُم وجهُ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة، الوجهُ الأتم، الوجهُ الأكمل، مثلما هي الحقيقةُ الـمُحَمَّديةُ الوجهُ الأتم الوجهُ الأكمل للذَّات الأولى.

من هنا يتَّضحُ لنا سرّ العلاقة والرَّابطة بينَ عليٍّ وسورة التوحيد:

- فعليٌّ هو المجلى الأعظم بينَ أظهُرنا للحقيقة العَلَويَّة.
- والحقيقةُ العَلَويَّةُ هوَ الله المتجلّي، هوَ اللهُ الظَّاهرُ عبرَ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة الَّتي تجلَّت في الحقيقةِ العَلَويَّة.
- ومن هناك أشرقت الأسماءُ الحُسنى.

وإلى هذا يُشيرُ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في بعض خُطَبه الَّتي رواها الحافظُ رجب البُرسي في كتابه المشارق (مشارق أنوارُ اليقين في أسرار أمير المؤمنين) طبعةُ مؤسسة الأعلمي / بيروت - لبنان / صفحة (١٧٢)، في آخر خطبة من خطبه الَّتي جاءت مذكورةً في هذا الكتاب الأميرُ يقول: (**أَنَا الْمَعْنَى الَّذي لَا يَقَعُ عَلَيه اسْمٌ وَلَا شبْه**)، وكذلك يمكن أن تكون (**وَلَا شَبَه**) ، فليسَ لهُ من شبه، من شبيه، وليس هناك من شَبَه يمكننا أن نجدهُ في كائنٍ آخر كي نستطيعَ أن نَصفَ المعنى الَّذي يتحدَّث عنهُ سيد الأوصياء، قطعاً من الخلقيات الَّتي صدرت من الحقيقة الـمُحَمّديّة.

الإمام هنا يقول: (**أَنَا الْمَعْنَى الَّذي لَا يَقَعُ عَلَيه اسْمٌ وَلَا شبْه**)، ولكنَّهُ سبقَ كلامه بقرينة قال: (**أَنَا صِهْرُ مُحَمَّد**) فهل أنَّ الذَّاتَ الأولى ينطبق عليها هذا الكلام؟ الذَّاتُ الأولى المنزَّهةُ تمام التنزيه بحسبِ عقيدة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، الإمام صلواتُ الله وسلامهُ عليه إنَّهُ قاصدٌ عامدٌ أن يقول: (**أَنَا صِهْرُ مُحَمَّد، أَنَا الْمَعْنَى الَّذي لَا يَقَعُ عَلَيه اسْمٌ وَلَا شَبَه وَلَا شبْه** - ثُمَّ يُعَقِّبُ هذه الجملة بقوله - **أَنَا بَابُ حطَّة**)، فهل أنَّ الله، أعني الذَّاتَ الأولى يَصْدُقُ في حَقِّه أن نقول عنهُ من أنَّهُ بابُ حِطَّة؟ نحنُ نُنزِّههُ حتَّى عن اسم الله، إنَّها إشاراتٌ نُنَزِّههُ عن الأسماء الحُسنى، نحنُ نُنزِّههُ حتَّى عن الحقيقةِ الـمُحَمّديّة.

هذه القرائنُ جاء بها أميرُ المؤمنين كي نفهم أنَّ المراد من المعنى هُو هذا الَّذي أشرتُ إليه قبل قليل؛

- فإنَّ الله سبحانهُ وتعالى تجلَّى معناهُ في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.
- والحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ تجلَّت بالمعنى الَّذي تجلَّى فيها في الحقيقة العلَويّة.

- والحقيقةُ العَلَويَّةُ تجلَّت بالمعنى الَّذي تجلَّى فيها في الأسماء الحُسنى الفاعلة الَّتي هي مصادرُ الفيضِ في هذا الوجود.
- أمَّا مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد الَّذين هم بين أظهُرنا هم الأسماء العَظمى، هم الاسمُ الأعظمُ للحقيقة المُحَمَّديَّة وللحقيقة العَلَويَّة، وإلى هذا يشير أمير المؤمنين: (**أَنَا الْمَعْنَى الَّذِي لَا يَقَعُ عَلَيهِ اسْمٌ وَلَا شِبْه وَلَا شَبَه**)، فهو الَّذي يقول قبل هذه الجملة مباشرةً: "**أَنَا صِهْرُ مُحَمَّد**"، وبعدها مباشرةً: "**أَنَا بَابُ حطَّة**".

المضامين الَّتي تحدَّث عنها أمير المؤمنين في هذه الخطبة نفسها مثلاً حين يقول: (**أَنَا صَاحِبُ بَدْرٍ وَحُنَين**)، هل يَصحّ أن نقول عن الذَّات الأولى هذا الَّذي يقوله أمير المؤمنين: (**أَنَا صَاحِبُ بَدْرٍ وَحُنَين**)؟

يقول: (**أَنَا الكتَابُ الْمَسطُور**)، هل يصحّ أن نقول عن الذَّات الأولى هذا القول؟ (**أَنَا البَيتُ الْمَعْمُور**) أنا أنا، وفي سائر خطبه الأخرى.

مثلاً في خطبةٍ أخرى: (**أَنَا شَهرُ رَمَضَان، أَنَا لَيلَةُ القَدْر، أَنَا أُمُّ الكتَاب**) أنا أنا، هل يصحّ أن نقول عن الذَّات الأولى هذه المضامين؟ هذه المضامينُ يصحّ وبتمامِ المعنى أن نقولها عن عليٍ أمير المؤمنين، أن نقولها عن صَاحبِ الأمر، لكن لا يصحّ أن نقولها عن الذَّات الأولى ولا يصحّ أن نقولها عن الحقيقة المُحَمَّديَّة أصلاً، لأنَّها لا تنطبقُ عليها، إنَّما تنطبقُ على شؤونٍ أسمائها، وهذه شؤونٌ من شؤون الخلقيّات الصَّادرة عن الحقيقة المُحَمَّديّة، نحنُ لا نصفُ الحقيقة المُحَمَّديَّة بهذه الأوصاف، فكيفَ نصفُ الذَّات الأولى؟!

أميرُ المؤمنين صلواتُ الله وسلامه عليه حين يقول: (**أَنَا الْمَعْنَى الَّذِي لَا يَقَعُ عَلَيهِ اسْمٌ وَلَا شِبْه**)، باعتبارِ أنَّهُ الاسمُ الأعظمُ للحقيقة العَلَويَّة، والحقيقةُ العَلَويَّةُ تجلَّى فيها (معنى الله) عبر الحقيقة المُحَمَّدية، فإنَّ الله تجلَّى أولاً في الحقيقة المُحَمَّديةِ بمعناه، وبعد ذلك تجلَّت الحقيقة المُحَمَّديةُ بهذا المعنى في الحقيقة العَلَويَّة، هناك فصلٌ واضحٌ في مظاهرهم، الآياتُ القُرآنيةُ صريحةٌ في هذا.

على سبيل المثال: **إذا ذهَبنا إلى سورة النساء.**

وإلى الآية التاسعة والخمسين بعد البسملة من سورة النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ** - واحد - **وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** - اثنان - **وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾، ثلاثة، هناك تفصيلٌ، هذا التفصيلُ ليس اعتباطياً.

وإذا ذهبنا إلى سورة المائدة، وإلى الآية الخامسة والخمسين بعد البسملة: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، هذه الأوصافُ لا تتناسب أن يوصفَ بها الله، الظواهرُ لا تنفكُّ عن البواطن، الظواهرُ والبواطنُ تأتي في اتساقٍ واحد، كُلُّ شيءٍ عندَ الله بمقدار، هناكَ حكمةٌ، وهناكَ انتظامٌ ونظامٌ واتساقٌ واتزانٌ..

وإذا ما ذهبنا إلى سورة التوبة، وفي الآية الخامسة بعد المئة: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾، هناك تفصيلٌ، وهناك تقديمٌ وتأخير، (**إِنَّ قَوماً آمَنُوْا بِالظَّاهِر وكَفَرُوْا بِالبَاطِن مَا كَانُوْا عَلَى شَيء** - ضَلُّوا - **وَإِنَّ قَوماً آمَنُوْا بِالبَاطِن وَكَفَرُوْا بِالظَّاهِر مَا كَانُوْا عَلَى شَيء** - ضلُّوا وأضلّوا الآخرين - **الإِيْمَانُ إِيْمَانٌ بِظَاهِرٍ وَبَاطِن**)، ولا يوجد انفكاكٌ بين الظَّاهرِ والباطن.

الباطنُ إن كان الحديثُ في العلمِ فَإنَّ المعاني ستكون أعمق، وإن كان الحديث في التجليّاتِ وفي التكوينِ فإنَّ الباطن سيكونُ أعلى رُتبةً من الظَّاهر، لكنَّهُ لن يُفارق الظَّاهر، الظَّاهرُ ملاصقٌ للباطن والباطنُ ملاصقٌ للظَّاهر.

إذا ما ذهبنا إلى سورة الرعد:

وإلى الآية الأخيرة من سورة الرعد وهي الثالثة والأربعون بعد البسملة: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً** - الحديث عن مُحَمَّد هنا - **قُلْ كَفَى بِالله شَهِيْداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾ ، "**وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**"؛ علي، هناك تفريقٌ: هناك مُحَمَّدٌ، وهناك اللهُ، وهناكَ علي، هناك تفصيلٌ.

والأمر هو هو إذا ما ذهبنا إلى الآية السابعة والستين بعد البسملة من سورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ** - "الرّسولُ، ربّكَ وعليٌ" الَّذي تتحدَّثُ الآيةُ عن بيعة غديره - **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** - في عليٍ - **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين**﴾، التفصيل واضح: (هناكَ اللهُ، هناكَ مُحَمَّدٌ، هناك عليٌ صلَّى اللهُ عليهما وآلهما)، والقُرآنُ من أوَّلهِ إلى آخرِهِ يتحرَّكُ هذا المضمونُ فيه بشكلٍ واضح وواضح جِدَّاً.

وحينما نذهبُ إلى بواطنه بحسب تفسيرهم، فإنَّ بواطن القُرآن لن تكونَ مُغايرةً مُجانفَةً مُباعدةً لظواهره، فالظواهرُ والبواطنُ في نفسِ الاتجاهات، وإلَّا فإنَّ الحقائق ستنقلبُ حينئذ، وإنَّ الأمور ستكونُ فاسدةً فإنَّنا سنذهبُ من الحكمةِ إلى الفساد، ومن السويَّةِ ومن الحقيقةِ إلى الانقلاب، وهذا ما لا أثرَ لهُ في الوجود، وحتَّى إذا احتملناه فهو خلافٌ لحكمة الله سُبحانه وتعالى.

إذا ما رجعنا إلى كُلِّ أدعيتهم، إلى مناجياتهم، إلى أدعية الصَّلوات على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد إلى كُلِّ زياراتهم قضيّةٌ واضحةٌ في كُلِّ هذه المنظومة الهائلة أنَّ مُحَمَّداً هو الأصل، وأنَّ علياً هو مُحَمَّدٌ في وجهٍ من الوجوه لكنَّهُ في الآخرِ هو فرعٌ عن مُحَمَّد، هذا في ظاهرِ الأمرِ وفي باطنه.